اسمع منه وغير ذلك من مذاهبه التي حطي ان يتبعه فيها غواليم العلما
ويعصبون على عيوبهم فيثبتون هو بدكي يتحقق لهم اما يحمل ثقله
وثقلهم وهذا يهون عليك ان عقلت تعظيمهم وتعلم انها هفوة
وزلة الى ارداهوه • وان شئت زيادة التحقيق في حقيقة معرفته
فانظر ما يحكي في سبب رجوعه عن الاعتزال لانه كان ربيب ابي علي
الجبايي قال ابن السبكي انه كان اماما في المعتزلة تخرج عن الجبايي
وكان صاحب مناظرة لان الجبايي كان صاحب قلم ولم يكن له
قوة المناظرة قال ثم ان الاشعري راى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث
مرات يقول له يا علي انظر المذاهب المروية عني فقعدت في بيتي
خمسة عشر يوما وخرج الى الناس وارتقا المنبر واخبر هذه المذاهب
فليت شعري من رواه هذه المذاهب التي حكيناها من الائمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وما زال ابن السبكي يقول ان الاشعري لم
يخترع قولا انما هي السنة فيالها شهادة • وحكوا في سبب رجوعه
انه سال ابا علي الجبايي يوما وقال ثلاث مات احدهم يستحق الجنة
واحدهم يستحق النار والثالث قبل التكليف فيقول الصغير في القيمة
حين يرى منزلة المكلف المومن يا رب لو احييتني وكلفتني حتى ابلغ
مبلغ اخي المومن قال فيقول الله لو تركت عصيت وكنت من اهل
النار قال فيصرخ اخرهما من النار يا رب لو قبضتني صغيرا فاسلم من العذاب
فماذا يكون جواب الله سبحانه وتعالى • قالوا فقال فعند ذلك وقف حمار
الشيخ على القنطرة فرجع عن الاعتزال واخذ في مناقضته طول عمره
فهذه الحكاية هوس • وادنى المعتزلة فضلا عن شيخهم يقول من جواب الله
تعالى الصغير التكليف فضيلة تفضل به على من انشا كما كان جواب الله تعالى
على اهل الكتاب في حديث تفضيل هذه الامة وهذا جواب على
اصل المعتزلة لان التكليف تفضل عند البصريين منهم ابو علي وغيره
ومن قال منهم وهم البغدادية ان التكليف واجب هو عندهم وجوب
جود لا يعترض على تاركه وايضا فهو مصلحة ويشترط في كل مصلحة
خلوها عن المفسدة ولو كانت المفسدة في غير ذلك عندهم كما ذلك مشهور

من مذاهبهم • وعلى الجملة فالاعتراض على الله تعالى ساقط اجماعا اما
عندهم فلان الاعتراض مطلقا انما يكون لمخالفة ما ينبغي في نفس
الامر وهذا لا معنى له عند الاشعري انما معناه فينا انا خالفنا القادر
الذي جعل مخالفته علامة عقوبته لا لانه منعم علينا متفضل حقيق
بان نمتثل امره فان هذا معنى التحسين الذي نفوه لكن لخوف ضرر الذي
نصب الوعيد على ماله فكلنا عند العصي • واما عند المعتزلة فلان الله سبحانه
حكيم واجب الحكمة فكل جزئي يراه يدخله في الكلية ان عرفنا الحكمة
فيه علما او ظنا تفضل من الله والا فنحن في سعة رددناه الى حكمة احكم
الحاكمين وعلم ارحم الراحمين فكيف يتمشى اعتراض اما عند الاشاعرة
فلانه كالاعتراض على الجبابرة الذين لا يعرفون غير السيف والقطع • واما
عند المعتزلة فانه من اغراض الجاهلين احكم الحاكمين • فهذا مما
ينادي على سقوط الاشعري معرفة وعقلا • وما زالت هذه الخرافة
مصدقة في كثير من كتبهم • والعجب ممن يدعا حجة
الاسلام الغزالي ما زالت هذه الخرافة سيفا بيده وان كانت شبيهة
بالنضار فانها وان اتسعت فغثها اكثر من سمينها وباطلها اغلب لحقها
سيما مع المعتزلة مما اكثر محارفته ويجي الاخر يقلد الاول حتى كثر البهت
وقل التورع ان كان ولا بد لك من قبول النقل فعليك بالفخر الرازي بعد
ان تعرف كيفية محاربته فانه ابضع ممن اوقع وغيرهم في الغلط عليه كثيرا
ولما ذكر ابن السبكي كلام
المعتصم محمد بن هرون اللهم انك تعلم اني اخافك من قبلي ولا اخافك
من قبلك وارجوك من قبلك ولا ارجوك من قبلي قال والناس يستحسنون
هذا الكلام والشق الثاني صحيح لا غبار عليه • واما الاول فانا نقول ان الرب
تعالى يخاف من قبله كما يخاف من قبلنا لانه الملك القهار • فهذا قد اتهم الباري
تعالى ان يعذب بغير ذنب لمكان قدرته تعالى وهم يزعمون انهم انما يجوزون
ذلك لكن لا يقع • فالقطع انه لا يعذب موسى عليه الصلاة والسلام
ويثيب فرعون لعنه الله وان كان ذلك يجوز عليه تعالى بزعمهم والخوف انما
يكون من الوقوع لا من الجواز الذاتي • ولذا لو اخذ انسان لا يعتمد على الارض يقول

فيقع على ما هو دينًا ودنيا